أحمد خليل جمعة

نساء من عصر التابعين

فاطمة بنت علي

www.dawahmemo.com

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

(١٣)

فاطمة بنت عليّ

* بنت فاطمة الزهراء ، محبّة للعلم ، راوية للحديث النبوي ، عابدة ، فقيهة ، من المعمّرات .

فَاطِمَةُ بِنْتُ عَلِيّ

الذُّرِّيَّةُ الطَّيِّبَةُ :

* عندما ذكرَ الطَّبريُّ وابنُ الأثير ـ رحمهما الله ـ في تاريخيْهما ذريّة سيّدنا علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قالا :

جميع ولد عليّ ـ رضي الله عنه ـ لصُلْبه أربعة عشر ذكراً ، وسبْعَ عشرة امرأة . وكان له بنات من أمهات شتى لم يُسَمّ لنا أسماء أمهاتهن منهن : أمُّ هانئ ، وميمونةُ ، وزينبُ الصُّغرى ، ورملةُ الصُّغرى ، وأمُّ كلثوم الصُّغرى ، وفاطمةُ ، وأمامةُ ، وخديجةُ ، وأمُّ الكرام ، وأمُّ سلمة ، وأمُّ جعفر ، وجمانةُ ، ونفيسةُ بنات عليّ ـ رضي الله عنه ـ ، أمهاتُهن أمهات أولاد شتّى ؛ أمّا زوجه فاطمة الزّهراء فقد ولدت له من الإناث : زينب[1] الكبرى ،وأمّ كلثوم[2] الكبرى . وأما زوجه أمّ سعيد بن عروة الثقفية فولدت له أمّ الحسن ورملة الكبرى . ومجموع هؤلاء سبع عشرة امرأة[3] .

* وحديثنا عن واحدة من هؤلاء البنات الطّاهرات وهي : فاطمةُ

---

(١) اقرأ سيرة زينب بنت علي في هذا الكتاب .

(٢) اقرأ سيرة أم كلثوم بنت علي في هذا الكتاب .

(٣) تاريخ الطبري (١٦٢/٣) ، والكامل (٣٩٨/٣) .

بنتُ عليّ بن أبي طالب الهاشمية ، أمُّها أمّ ولد ، وهي فاطمة الصُّغرى[1] .

* ويبدو أنَّ فاطمةَ هذه أصغرُ بنات سيّدنا عليّ ـ رضي الله عنه ـ ، وقد سمّاها فاطمة إحياء لذكرى زوجه فاطمة الزّهراء ـ رضوان الله عليها ـ ، ولشدّة الشّبه بينهما .

* ولا نستطيع تحديد مولد فاطمة الصُّغرى هذه ، غير أنَّ الدلائلَ تشيرُ إشاراتٍ تدعونا إلى القول بأنّها ولدت في حدود سنة (٣٠ هـ) تقريباً ـ والله أعلم ـ .

* وعندما أصبحت فاطمة في سنّ الزّواج ، وبلغت مبلغ النّساء ، تزوّجها محمّد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب ؛ فولدت له : حميدة بنت محمد . ثم خلف عليها سعيد بن الأسود ؛ فولدت له برزة وخالداً . ثم خلف عليها المنذر بن عبيدة بن الزّبير بن العوّام ؛ فولدت له عثمان وكبيرة[2] .

* * *

حُبُّها للعِلْمِ والرِّوَايَةِ :

* منذ أنْ نشأتْ فاطمة بنت عليّ ـ رحمها الله ـ ، تعلّقتْ بالعلمِ وحبِّ الرّواية للأحاديث النّبويّة الشّريفة ، فكانت تلميذةً نجيبةً لزوجةِ أبيها أسماء بنت عميس[3] الصّحابية المشهورة ـ رضي الله عنها ـ ، فقد

(١) الطبقات (٨/٤٦٥) ، وتهذيب التهذيب (١٢/٤٤٣) .

(٢) الطبقات (٨/٤٦٥ و ٤٦٦) ، ونسب قريش (ص ٤٦) .

(٣) اقرأ سيرة هذه الصحابية الجليلة في كتابنا « نساء من عصر النبوة » الجزء الثاني .

روت كثيراً من حديث رسول الله ﷺ . كما أنها روت عن أخيها محمّد بن علي المشهور بمحمّد بن الحنفيّة .

* وقد تلقّى عنها العلمَ ورَوَاهُ عددٌ كبيرٌ من علماء عصر التّابعين ، وفي مقدمة هؤلاء : الحارث بن كعب الكوفي ، والحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعم ، وعروة بن عبد الله بن قشير ، وعيسى بن عثمان ، وموسى الجهني[1] ، ونافع بن أبي نعيم القارئ وغيرهم .

* وقد روى لها الإمام النّسائي في سننه .

* * *

نَمَاذِجُ مِنْ مَرويَاتِهَا :

* قال ابنُ سعد في « الطّبقات » :

وقد بقيتْ فاطمةُ بنتُ عليّ ، وروى عنها .

* وأخرج ابنُ سعد بسندهِ عنها قالت :

---

(١) موسى بن عبد الله الجهنيّ ، أبو سلمة التّابعيّ ، روى عن زيد بن وهب ، ومصعب بن سعد ، وفاطمة بنت عليّ وآخرين .

وروى عنه شعبة والثوريّ والحسن بن صالح وعدد من أكابر علماء التّابعين . وثّقه القطان وابن معين والعجلي . وذكره ابن حبّان في الثّقات . قال ابنُ سعد : كان ثقةً قليلَ الحديث .

وعن يعلى بن عُبيد قال : كان بالكوفة أربعة من رؤساء النّاس وتبلاثهم وذكره منهم . وعن مسعر قال : ما رأيتُ موسى الجهنيّ إلا وهو في اليوم الآتي خيرٌ منه في اليوم الماضي ، توفي سنة (١٤٤ هـ) رحمه الله . (تهذيب التهذيب : ١٠/٣٥٤ و ٣٥٥) .

قال أبي عن رسول الله ﷺ : « مَنْ أعتقَ نسمةً مسلمة أو مؤمنة وق الله بكلِّ عضو منه عضواً منه في النّار »[1] .

* ومما روته فاطمة ، ما أخرجه ابنُ عساكر رحمه الله بسنده عن موسى الجهنيّ عنها ، عن أسماء بنت عميس قالت : إنّها سمعتِ النّبيَّ ﷺ يقول :

« يا عليّ أنتَ مني بمنزلةِ هارونَ من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي[2] » .

* * *

أَخْلاَقُهَا وَعِبَادَتُهَا وفِقْهُهَا :

* نشأت فاطمةُ بنتُ علي ـ رحمها الله ـ نشأةً خالصة من كلِّ شائبة ، فكانت تحبُّ الصّراحة قولاً وفعلاً ، وتكره أنْ تميلَ إلى الرّياء مهما كانت صُوره ، بل كانت ترفض طريق الرّياء ، أو الوسائل المؤدية إليه ، فقد حدّثَ راويتها عيسى بن عثمان عن أخلاقها في هذا المجال فقال :

كنتُ عند فاطمة بنت علي ، فجاء رجل يثني على أبيها عندها ، فأخذت رماداً فسفّتْ في وجهه .

* وكانت ـ رحمها الله ـ تكثر التّدبر في آيات الله عزّ وجلّ ، وتتفكّرُ في أمور الحياة وشؤونها حتى أضناها السّهر من التفكير في هذه

---

(١) الطبقات الكبرى (١/٤٦٦) .

(٢) تاريخ دمشق (ص ٢٩٨) .

الأمور ، وشكت ما يعتريها من كثرة السَّهر والفكر إلى أخيها محمّد بن عليّ ـ ابن الحنفيّة ـ فقال لها : اجعلي سهرك وفكرك في ذِكْرِ الموت[1] .

قالت فاطمةُ : ففعلتُ ما أمرني به أخي ، فذهبَ عني السَّهر والفكْر .

* وتدلُّ أخبار فاطمة ـ رحمها الله ـ على أنّها كانت على جانبٍ كبيرٍ من العبادة ، وفقْهٍ أحكام النِّساء ، وكانت تكره أنْ تتشبّه النِّساءُ بالرِّجال ؛ حدَّث عروة بن عبد الله بن قُشير أنه دخل على فاطمة بنت علي بن أبي طالب قال : فرأيتُ في يدها مَسَكاً ـ أساور ـ غلاظاً ، في كلّ يد اثنين اثنين ، قال : ورأيتُ في يدها خاتماً ، وفي عنقها خيطاً فيه خرز ؛ قال : فسألتها عنه فقالت : إنَّ المرأةَ لا تتشبّه بالرِّجال[2] .

* * *

(١) في استحباب ذكر الموت ، رغّب الشّارعُ في تذكّر الموت ، والاستعداد له بصالح الأعمال ، وعدّ ذلك من دلائل الخير ، فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : أتيتُ النّبيَّ ﷺ عاشر عشرة ، فقام رجلٌ من الأنصار فقال : يا نبي الله ، من أكيسُ النّاس وأحزمُ النّاس ؟ قال : « أكثرهُمْ ذكراً للموت ، وأكثرهم استعداداً للموت ، أولئك الأكياس ؛ ذهبوا بشرف الدّنيا وكرامة الآخرة » . وعنه أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثروا من ذكر هادم ـ قاطع ـ اللذات » ـ يعني الموت ـ رواها الطبراني بإسناد حسن . وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ في قول الله عز وجل : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] قال : « إذا دخل النّور القلب انفسح وانشرح » ، قالوا : هل لذلك من علامة يعرف بها ؟ قال : « الإنابة إلى دار الخلود والتّجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت » رواه ابن جرير . وفي هذا دليل على فقه ابن الحنفية ـ رحمه الله ـ ، وفقه فاطمة بنت علي ـ رحمها الله ـ .

(٢) السمط الثمين (ص ١٥٩) .

فاطِمَةُ في الشَّامِ :

* في المحرّمِ من سنة إحدى وستين من الهجرة ، كانت فاطمةُ مع أخيها الحسين بنِ علي ـ رضي الله عنهما ـ لما قُتل في كربلاء ، ثم قُدِمَ بها دمشق في عيال الحسين بعد قَتْله ، ودُخل بهم على يزيدَ بنِ معاوية ، وكان لها قصة عند يزيد .

* ذكر الحارث بن كعب تلك القصة عن فاطمة أنّها قالت :

لما جلستا بين يدي يزيد رقَّ لنا ، وأُمِرَ لنا بشيء ، وألطفنا ، ثم إنَّ رجلاً من أهل الشَّام أَحْمَرَ قام إلى يزيد فقال :

يا أمير المؤمنين ، هَبْ لي هذه ـ يعنيني ـ وكنتُ جاريةً وضيئةً ، فارتعدتُ فَزِعةً من قوله ، وظننتُ أنَّ ذلك جائز لهم ، فأخذتُ بثياب أختي زينب ـ وكانت أكبر مني وأعقل ؛ وكانت تعلم أنّ ذلك لا يجوز ـ فقالت لذلك الرَّجل : كذبتَ والله ولؤمتَ ، ما ذلك لكَ وله .

فغضبَ يزيد فقال لها : كذبتِ ! والله إنَّ ذلك لي ، ولو شئتُ أنْ أفعله لفعلت .

قالت : كلا ! واللهِ ما جعلَ الله ذلك لك إلا أنْ تخرجَ من ملّتِنا ، وتدين بغيرِ دِيْننا .

فغضبَ يزيد واستطار ثم قال : إياي تستقبلين بهذا ؟ إنّما خرج من الدِّين أبوكِ وأخوك . فقالت زينب : بدينِ الله ودين أبي ودين أخي وجدي اهتديتَ أنتَ وأبوكَ وجدّك .

قال : كذبتِ يا عدوّة الله .

قالت : أنت أمير المؤمنين مسلّط ، تشتم ظالماً ، وتقهرُ بسلطانك .

قالت فاطمة : فوالله لكأنّه استحى فسكت . ثم قام ذلك الرّجل فقال : يا أمير المؤمنين هَبْ لي هذه ــ وأشار إليّ ثانية ــ .

فقال له يزيد : اغرب ، وهب الله لك حتفاً قاضياً .

ثم إنّ يزيدَ أمر النّعمان بن بشير الأنصاريّ ، أنْ يبعثَ بآلِ الحسين إلى المدينة المنوّرة ، وأنْ يبعثَ معهم رجلاً أميناً ديّناً معه رجال أمناء وخيل وسلاح لحمايتهم حتى يوصلهم مأمنهم .

* وبعد ذلك أنزل يزيد بن معاوية بن أبي سفيان النّساء عند حريمه في دار الخلافة ، ونزلت فاطمة وأخواتها ونساء الحسين دار يزيد ، فاستقبلتهن نساء آل معاوية يبكين الحسين وقتلى آل هاشم ومن قُتل بكربلاء ، ومن ثم ودّعهم يزيد ، وجهزهم بجهازهم ، وكساهم وأعطاهم مالاً كثيراً ، وأوصى بهم في ذلك الرّجل الشّامي الأمين ، وقال له : كاتِبْني بكلّ حاجة تكونُ لك . فكان ذلك الرّجل من خيرة الرّجال ، يخدمُهم ويحوطُهم برعايته حتى وصلوا المدينة المنوّرة ؛ فقالت فاطمة لأختها زينب ، وقد أحبّتْ أنْ تكافئ الرّجل الشّامي وتردُّ عليه بالإحسان : يا أخيّة ، إنّ هذا الرّجل الذي أرسل معنا قد أحسن صحبتنا ، فهل لكِ أنْ نَصِلَه ؟

ووافقت زينب ، وبعثتا له حليّهما واعتذرتا إليه وقالتا له : هذا جزاؤك بحُسْنِ صحبتك لنا ، فجزاك الله خيراً .

فقال : ما فعلتُ ذلك إلا لله عزّ وجلّ ، ولقرابتكم من رسول الله

ﷺ ، وأبى أنْ يأخذَ شيئاً .

* * *

أَهْلُ السِّيَادَةِ :

* لفاطمةَ بنتِ علي ، وآل بيت النّبيّ الكريم ﷺ مكانة سامية في نفوس النّاس على اختلاف طبقاتهم ، فأهل البيت هم مجمع العلم والفضل ، وأهل التُّقى والأدب ، لذلك كانت تهفو إليهم النُّفوس الصّافية ، وتتقرّبُ بحبّها إليهم ، لتحظى بمرضاة الباري جلّ جلاله ، ولله درّ مَنْ قال :

فلا تَعْدلْ بأهلِ البيتِ خَلْقاً
فأهلُ البيتِ هم أهل السِّيادة
فبغضهمُ مِنَ الإنسان خُسْرٌ
حقيقيٌ وحبُّهمُ عِبَادة

وما أجمل قول الآخر في هذا المعنى :

مديحُ آل النّبيّ عندي
« خيرٌ من اللهو ومنَ التجارة »[1]
أنجو بهم من عذاب نارٍ
« وقودها النّاس والحجارة »[2]

* ولذلك ، وعندما كان عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ والياً على

(١) اقتباس من سورة [الجمعة : ١١] .
(٢) اقتباس من سورة [التحريم : ٦] .

المدينة المنورة[1] ، كان يكرم فاطمة بنت علي وآل البيت إكراماً منقطعَ النَّظير ، وكانت فاطمة ـ رحمها الله ـ إذا ذكرتْ عمر أثنتْ عليه وأكبرت عمله لبرّه بها وبأقاربها ، حدَّثَ جويريةُ بنُ أسماء عنها هذا كما وردَ في « الطَّبقات » فقال :

سمعتُ فاطمة بنتَ عليّ بن أبي طالب ذكرتْ عمر بن عبد العزيز فأكثرت التَّرحّمَ عليه وقالت :

دخلتُ عليه وهو أمير المدينة يومئذ ، فأخرج عني كلّ خصيّ وحَرَميّ حتى لم يبقَ في البيت أحد غيري وغيره ثم قال :

يا ابنة عليّ ، والله ما على ظهر الأرض أهل بيت أحبّ إليّ منكم ، ولأنتم أحبّ إليَّ من أهل بيتي .

وكأنَّ الشَّاعر عناه بقوله :

حبُّ آل النَّبيّ خالطَ عظمي
وجرى في مفاصلي فاعذروني
أنا والله مغرمٌ بهواهم
عللوني بذكرهم عللوني

---

(١) تولّى عمر بن عبد العزيز المدينة ومكة من سنة (٨٦ هـ إلى ٩٣ هـ) ، فكان في مدة ولايته من أحسن النّاس معاشرة ، وأعدلهم سيرة ، فكان إذا وقع له أمر مشكل جمع فقهاء المدينة ، وقد عيّن عشرة منهم ، وكان لا يقطع أمراً من دونهم ، أو من حضر منهم ، والفقهاء العشرة هم : عروة بن الزّبير ، عبيدُ الله بن عبد الله بن عتبة ، أبو بكر بن عبد الرحمن ، أبو بكر بن سليمان بن خيثمة ، سليمانُ بن يسار ، القاسم بن محمّد ، سالم بن عبد الله بن عمر ، عبد الله بن عبد الله بن عمر ، عبد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد ـ رحمهم الله ـ .

* ومن الجدير بالذكر أنَّ برّ عمر بن عبد العزيز كان يلحق كلَّ واحد من آل البيت ، وشهدت له بهذا البرّ إحدى سيدات بيت النبوة وهي فاطمةُ بنت الحسين[1] ، إذ كتبتْ إليه تشكره ، وتقسمُ بالله : يا أمير المؤمنين ، لقد أخدمت مَنْ كان لا خادم له ، واكتسى منهم مَنْ كان عارياً . فسُرّ بذلك عمر ـ رحمه الله تعالى ـ .

* وهذه شهادة أخرى ـ بهذا الخصوص ـ وهذا الرَّجل من آل البيت وهو عبد الله بن محمّد بن عقيل بن أبي طالب قال :

أول مال قسمه عمر بن عبد العزيز لمالٌ بعث به إلينا أهل البيت ، فأعطى المرأة منّا مثل ما يُعطى الرّجل ، وأعطى الصّبيّ مثل ما تُعطى المرأة ، فأصابنا أهل البيت ثلاثة آلاف دينار[2] .

* * *

رحلةُ الخُلُودِ والحقّ :

* فاطمةُ بنتُ علي من النّساء التّابعيات اللاتي امتدت بهن الحياة إلى ما بعد القرن الهجريّ الأول ، وكانت من النّسوة المعمّرات ، ولعلّها قد تجاوزت التّسعين ، ويدلّ على هذا ما قاله موسى الجهنيّ :

دخلتُ على فاطمة بنت علي وهي ابنة ست وثمانين سنة ، فقلت لها : تحفظين عن أبيك شيئاً ؟ قالت : لا .

---

(١) اقرأ سيرة فاطمة ابنة الحسن في هذا الكتاب ففيها كثير من الإشراقات اللطيفة .

(٢) الطبقات (٣٩٢/٣) .

* وفي سنة (١١٧ هـ) كانت رحلة الخلود لفاطمة ، تلك الرّحلة الأبديّة التي لقيتْ فيها الله عزّ وجلّ ، بعد عُمرٍ مديد قضته في الطّاعات ـ رحمها الله ـ .

* وممن توفي في هذه السّنة من التّابعيات : عائشة بنت سيدنا سعد بن أبي وقّاص ، وكان وفاتها بالمدينة المنورة ، وقد رأت ستاً من أمهات المؤمنين ، وعاشت أربعاً وثمانين عاماً ـ رحمها الله ـ .

وتوفيت أيضاً ، سُكينة ابنة سيدنا الحسين بن علي ـ ابنة أخي فاطمة صاحبة هذه الترجمة ـ وكانت وفاتها بالمدينة المنورة أيضاً .

* أما عن مكان وفاةِ فاطمة بنت علي ـ رحمها الله ـ ، فيقول صاحب كتاب « حدائق الإنعام في فضائل الشّام » : وقبر فاطمة بنت الإمام عليّ بمقبرة باب الصّغير ـ بدمشق ـ وعليه بناءٌ وهيبة ، معروف يُقصد بالزيارة[1] .

رحم الله فاطمة بنت علي ، ونضّر قبرها ، ونجّاها من النّار ، وأدخلها الجنّة مع الأبرار .

* * *

(١) حدائق الإنعام (ص ١٤١) .